

أيها المهندس... قف، فإنك مسؤول!

بين يدي الله وبين يدي القانون

ملخص بحث علمي امتد لأربع سنوات في دراسة التكامل بين
الشريعة الإسلامية والقانون المدني في مهنة البناء.

إعداد: د. إيهاب رياض قرضايا

ليست مجرد معادلات وأرقام، بل رسالة حضارية وأمانة عظيمة.

إن مهنة الهندسة في عمقها رسالة إنسانية، يلتقي فيها الفكر بالواقع، والعلم بالإيمان، والدنيا بالآخرة. هذا العرض يقدم نموذجاً متكاملًا يمزج بين ثلاثة محاور أساسية تحكم كل قرار يتخذه المهندس.



الهندسة العملية

الخطوات الدقيقة من الفكرة
والدراسة إلى التنفيذ والمتابعة
طويلة الأمد.



القانون المدني

تحديد المسؤوليات والضمانات
والعقوبات لحماية المجتمع
وحقوق الأطراف.



الشريعة الإسلامية

العمران كعبادة ومقاصد لحفظ
النفوس والمال.
الأمانة الإلهية.

ما هي المسؤولية؟ التزام بتحمل تبعات كل فعل وقرار.

المسؤولية الشرعية (أمام الله)

- الأساس: النية الصالحة وإتقان العمل.
- المحاسبة: يُسأل العبد يوم القيامة عن كل خطأ أو تقصير، كالغش في المواد أو الإهمال في السلامة.
- "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته".

المسؤولية القانونية (أمام القضاء)

- الأساس: الالتزام بالعقود والقوانين المنظمة.
- الأنواع: مسؤولية عقدية (الإخلال بالعقد) ومسؤولية تقصيرية (التسبب بضرر للغير). يترتب عليها عقوبات مالية أو جنائية.

المسؤولية الأخلاقية (أمام المجتمع)

- الأساس: الالتزام تجاه المجتمع والناس، والحفاظ على السمعة المهنية.
- المحاسبة: تحمل نتائج القرارات الهندسية حتى لو لم ينص عليها القانون صراحةً.

رحلة البناء تبدأ قبل أول حجر: مرحلة الإعداد والتراخيص.

المسؤوليات الرئيسية في هذه المرحلة

- **الدراسة الأولية الدقيقة:** جمع المعلومات عن طبيعة التربة، تضاريس الموقع، وشبكات الخدمات المحيطة. الهدف: تحديد صلاحية الأرض للبناء وحصر العقبات المحتملة.
- **الحصول على التراخيص والموافقات الرسمية:** استصدار رخصة البناء وموافقات دوائر الخدمات (كهرباء، مياه، بلدية).

تطبيق ثلاثية المشروع في الواقع

الشرعية: يدخل ضمن مبدأ "إتقان العمل" وقاعدة "لا ضرر ولا ضرار". الالتزام بالتراخيص من باب "طاعة ولي الأمر".



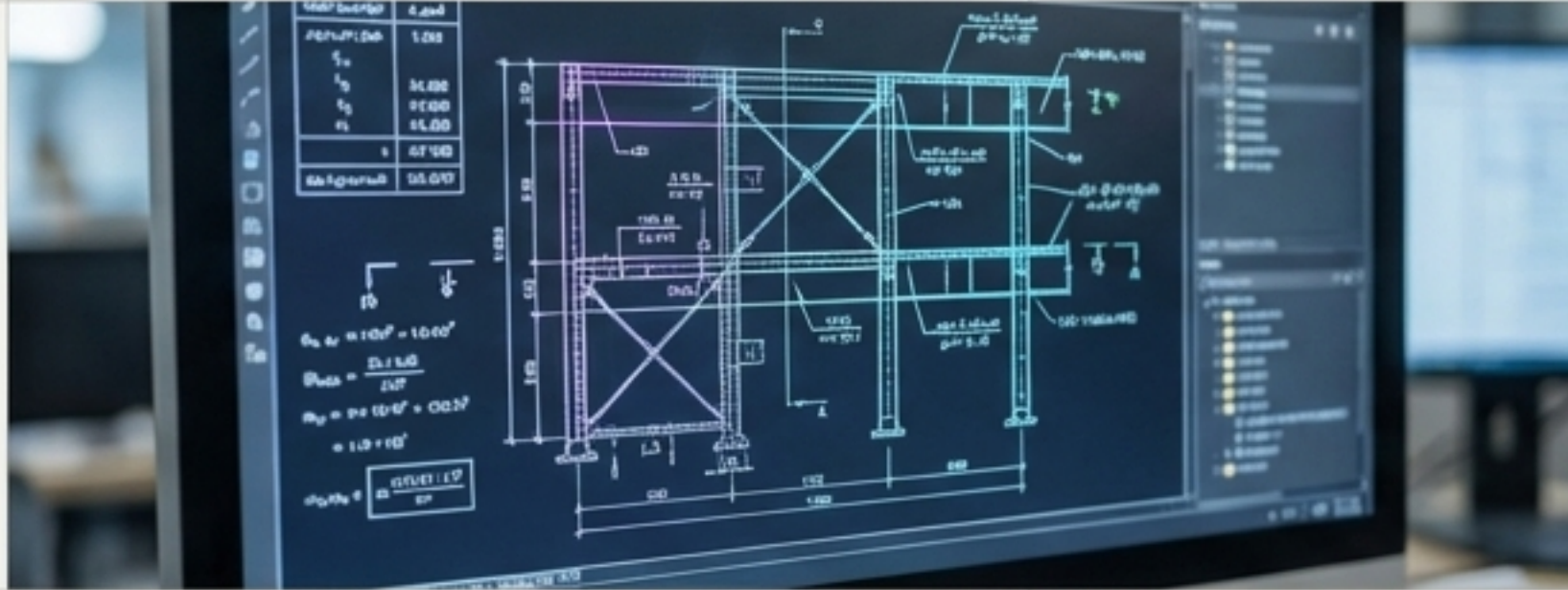
القانون: يعتبر البناء دون ترخيص مخالفة جسيمة عقوبتها الغرامة وقد تصل إلى الهدم.



الهندسة: مسؤولية المكتب الاستشاري والمهندس لضمان أن المشروع قابل للتنفيذ دون مخاطر مستقبلية.



من الفكرة إلى العقد: مسؤولية التصميم والرقابة.



مرحلة التصميم المدني

هنا يتشكل كيان المشروع.

المهندس المصمم مسؤول مسؤولية كاملة عن دقة الحسابات ومطابقتها للكودات الفنية. أي غش أو إهمال يعرّض الأرواح للخطر.

مرحلة الإشراف والرقابة (مفهوم الحسبة)

دور المهندس المشرف يماثل دور 'المحتسب' في التراث الإسلامي الذي كان يراقب الأسواق ويمنع الغش.

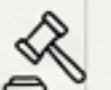
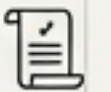
المهندس هو 'محتسب العصر' في قطاع البناء: يمنع الغش في المواد، يشرف على سلامة التنفيذ، ويضمن حقوق المالك والمجتمع.

مرحلة التعاقدات

يجب أن تكون العقود (مثل عقد المقطوعة أو عقود الفيديك) واضحة وشفافة.

• شرعاً: أي غرر أو جهالة في العقد تجعله باطلاً.

• قانوناً: العقود ملزمة لأطرافها، وأي مخالفة تستوجب التعويض.



قف! فأنت مسؤول عن الأساس.

أي خطأ في أعمال الحفر والأساسات لا يُعد مجرد تقصير، بل هو جريمة شرعاً وقانوناً.

Key Risks & Responsibilities

- **أعمال الحفر والسند:** خطورة انهيار جوانب الحفر، إتلاف الخدمات المدفونة، أو تهديد المباني المجاورة.
- **أعمال الأساسات والقواعد الخرسانية:** هي الركيزة التي تضمن ثبات المبنى. أي ضعف فيها سيؤدي حتماً إلى الانهيار.

The Governing Principles

الشريعة: القاعدة الذهبية الحاكمة لهذه المرحلة هي "لا ضرر ولا ضرار". الغش في الأساسات من الكبائر لأنه يعرّض الأرواح للهلاك.



القانون: يُلزم المقاول بإصلاح أي ضرر يتسبب به. انهيار المبنى بسبب خطأ في الأساسات هو مسؤولية مدنية وجنائية مشتركة تقع على عاتق المتسببين.



كل طابق يُبنى هو شهادة على أمانتك.

Responsibilities During Construction & Finishing

تنفيذ الأعمال الخرسانية: ضمان جودة الخلطة، ظروف الصب، والمعالجة (Curing) لاكتساب القوة التصميمية. 

أعمال التشطيبات: اختيار مواد مطابقة للمواصفات وحسن التركيب. المسؤولية تشمل كل شيء من الطلاء والسبابة إلى الكهرباء. 

المسؤولية عن هدر المواد والإسراف: الإسراف محرم بنص القرآن: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾. القانون يمنح المالك حق المطالبة بتعويض بتعويض عن الهدر غير المبرر. 

Key Legal & Sharia Concepts

****الضمان العشري:**  يبدأ الحديث عنه هنا، حيث يُحمّل القانون المهندس والمقاول مسؤولية سلامة المبنى لمدة عشر سنوات.

****من غشنا فليس منا:**  المبدأ الشرعي الذي يحكم جودة المواد.



أمان الموقع... حفظ للنفس وأمانة في عنقك.

السلامة العامة والبيئة ليست مسائل ثانوية، بل هي محور أساسي في المسؤولية الهندسية.

1. سلامة العمال والمباني (حفظ النفس):

- توفير معدات الوقاية الشخصية، تأمين السقالات، والتدريب المستمر للعمال.
- يتوافق هذا مع 'حفظ النفس'، أحد أعظم مقاصد الشريعة الخمسة.



2. حماية الممتلكات والبيئة (لا ضرر ولا ضرار):

- حماية الممتلكات المجاورة من الأضرار.
- الحد من الضوضاء والتلوث (غبار، نفايات) الذي يندرج تحت باب "الإفساد في الأرض".



3. المخالفات والمنازعات:

- مخالفة أنظمة البناء (مثل تجاوز الارتفاعات) تعتبر خروجاً عن طاعة ولي الأمر.
- يشجع الشرع على حل النزاعات ودياً: "الصلح خير".



التسليم ليس نهاية الرحلة، بل بداية إرث طويل من المسؤولية.

The Handover Process

الاستلام الابتدائي:

- فحص دقيق للأعمال ومطابقتها للمواصفات.
- إعداد قائمة بالنواقص والعيوب (Punch List).
- لا يُعفي المقاول من مسؤولية الضمان.

الاستلام النهائي:

- يتم بعد مرور فترة الضمان (عادةً سنة) والتأكد من إصلاح كافة العيوب.
- بمثابة براءة ذمة للمقاول من الالتزامات العادية، لكن لا يُسقط الضمان العشري.

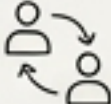
Responsibility After Handover

العيوب الخفية: العيوب التي لا تظهر عند الاستلام ولكنها تظهر مع الاستخدام (مثل تسرب المياه). يظل المقاول والمهندس مسؤولين عنها إذا كانت نتيجة غش أو إهمال.



الصدى العشري: الضمان الذي لا يسقط بالتقادم.

Key Features

- **المدة:** يمتد لعشر سنوات كاملة من تاريخ تسليم المشروع. 
- **النطاق:** يغطي "العيوب الجوهرية" (مثل ضعف الأساسات أو انهيار الأعمدة) التي تهدد سلامة المبنى. 
- **الطبيعة:** مسؤولية تضامنية، لا يمكن لأحد الطرفين (المهندس أو المقاول) إلقاء اللوم على الآخر للتملص منها. 
- **الإلزام:** التزام قانوني إلزامي لا يمكن إسقاطه أو التنازل عنه حتى لو نص العقد على خلاف ذلك. 



الضمان العشري (Decennial Liability)



التزام قانوني يجعل المهندس المصمم والمقاول مسؤولين **بالتضامن** عن أي انهيار كلي أو جزئي أو أي عيب جوهري يهدد متانة وسلامة البناء.

The Sharia Perspective: يتوافق مع روح الشريعة التي تؤكد على المسؤولية الجماعية في حماية المجتمع من الضرر.



شبكة الأمان: دور التأمين والمسؤولية التضامنية.



المسؤولية المشتركة (التضامنية)

- القانون يجعل المسؤولية عن العيوب الجوهرية **تضامنية** بين المهندس والمقاول.
- **ماذا يعني هذا؟** إذا وقع انهيار أو خلل في المبنى، يُسأل كلاهما معاً.
- هذا المبدأ يقطع الطريق على محاولات التملّص من المسؤولية ويعكس أن سلامة البناء هي نتيجة **جهد مشترك ومسؤولية** مشتركة.



دور التأمين في الأعمال الهندسية

- يلعب التأمين دوراً حيوياً في حماية المالك من الخسائر المادية وضمان حقوق المتضررين.
- تتعدد أنواعه: تأمين ضد الحوادث أثناء التنفيذ، وتأمين ضد العيوب التي تظهر بعد التسليم.
- القانون يُلزم بعض المشاريع الحيوية بالحصول على تأمين إجباري.

المهندس المتكامل: خبير علمي، ومؤتمن شرعي، وحارس قانوني.

رحلة البناء تثبت أن الهندسة ليست مجرد مهنة تقنية. المهندس المسلم مؤتمن على الأرض والإنسان، ومسؤوليته ممتدة قبل وأثناء وبعد التنفيذ.



كحارس قانوني:

يفهم العقود، يلتزم بالتراخيص، ويتحمل مسؤولية الضمانات لحماية حقوق المجتمع.



كمؤتمن شرعي:

يستحضر النية الصالحة، يتقن العمل كعبادة، ويتجنب الغش والضرر والإسراف.



كخبير علمي:

الحسابات، يلتزم بالكودات، ويتابع التطورات لضمان الدقة الهندسية.

Key Takeaway: هذه الأدوار لا تتجزأ، بل تتكامل لتشكل هوية مهنية سامية.

من أجل بناء حضارة "كالبنيان المرصوص".

لقد أثبت هذا البحث أن الهندسة المدنية هي ميدان للعبادة والمسؤولية. يتكامل الإسلام والقانون في هذا الميدان لحفظ الأرواح والممتلكات، ومحاسبة المقصرين.

Final Recommendations

- للمهندسين: استحضار النية الصالحة في العمل ليكون عبادة.
- للمكاتب الاستشارية: تفعيل دور الرقابة الحقيقي كـ "حسبة" عصرية.
- للجهات الرسمية والجامعات: دمج "أخلاقيات المهنة والهندسة الإسلامية" في مناهج كليات الهندسة لإنشاء جيل يدرك أبعاد مسؤوليته.